يستقبل ٥٠ طفلاً يومياً يتوفى ١٧ منهم فقط !!

مستشفى العلوية .. نقص في الاسرة والادوية والملاك

-الادوية توزع بين يوم واخر والاباء يشترون المغذيات والمضادات الحيوية من الصيدليات الخارجية

-كيف يرقد طفل متماثل للشفاء مع اخر لم يشخص مرضه بعد ؟

اياد عطية الخالدي

تصوير / نهاد العزاوي

المشكلة التي حدثت في الردهة الرابعة بين والدة الطفلة حواء سليم ووالدة الطفل سعد منذر هي التي اثارت فضولنا ودفعتنا لدخولها.. لنبدأ تحقيقنا حول مستشفى العلوية للاطفال منها.. رفضت والدة حواء التي يبدو ان طفلتها بدأت تتماثل للشفاء من مرضها ان يشارك الطفل سعد سرير ابنتها وهو مازال يئن من حمى شديدة لم يشخص الاطباء بعد سببها بحسب والدة الطفل.

جاء المفتشون !

كادت المشكلة تتطور الى ما لا تحمد عقباه بين والدتي الطفلين لولا ان تدخل احد المعينين، الذي صرخ موبخاً الامرأتين .. كما ان حضورنا هدأ الامور.. ولا اعرف لماذا، لكني سمعت احدى المرافقات تقول جاء المفتشون! هذا المشهد لم يثر اهتمام من كان موجوداً من اطباء وممرضين وممرضات ومعينين ولا حتى ذوي المرضى بنفس القدر الذي اثار اهتمامنا، وبدا الجميع غير مبالين بما حدث .

ابديت هذه الملاحظة للممرضة التي كانت تتجول في الردهة فقالت مبتسمة هذا امر اعتدنا عليه واصبح جزءاً روتينياً من عملنا، حتى المرضى تعودوا على ذلك، فهنالك نقص كبير في عدد الاسرة ويحدث كثيراً ان يجتمع مريضان وحتى اربعة مرضى على سرير واحد. ومن الطبيعي ان تحدث مشكلات بين ذوي المرضى.

الدكتور علي رضا الدلوي المقيم الاقدم في مستشفى العلوية للاطفال علق حول هذا الموضوع قائلاً: بالفعل هناك نقص واضح في عدد الاسرة بسبب ضيق المكان وعدم قدرته على استيعاب عدد اضافي من الاسرة، ولهذا نضطر الى ان نضع طفلين او اكثر على سرير واحد..

ويوضح الدلوي نحن ندرك ان هذا الامر غير صحيح ولا يجوز، فالقاعدة الطبية تقول سرير لكل مريض لكن ماذا نفعل إزاء هذه المشكلة وازاء الاعداد الكبيرة التي تراجع مستشفانا ؟! يستدرك قائلاً: نأمل بعد الانتهاء من تعمير الجزء الاخر من المستشفى ان تحل هذه المشكلة .

باشراف المعين

قلت للدكتور علي الدلوي الا يشكل رقود طفلين مريضين بجانب بعضهما سبباً في انتقال العدوى الى الاخر خاصة إذا كان احدهما قد تماثل او في طريقه للتماثل للشفاء ؟

اجاب: نعم هذا صحيح، لكننا نتدخل ونقوم بالاشراف على عملية اختيار الاسرة التي يجتمع عليها اكثر من مريض.. فعملية رقود الاطفال تتم باشراف الملاك الطبي، نعمل على ابعاد الاطفال الذين يحملون مرضاً معدياً عن غيرهم وخصوصاً الاطفال المتماثلين للشفاء قلت للدكتور الدلوي: انا بنفسي رأيت احد المعينين يقوم بمهمتكم هذه، حدث ذلك امامي مرتين خلال اقل من نصف ساعة .

ملاحظتي هذه سببت حرجاً للدكتور الدلوي، لكنه استدرك قائلاً: ماذا نفعل ؟! فالملاك الطبي قليل.. نحتاج الى ٢٢ طبيباً مقيماً ولا يوجد في المستشفى الان سوى عشرة اطباء.. فاتحنا وزارة الصحة حول هذا الموضوع اكثر من مرة لكن لم نحصل على رد ايجابي من وزارة الصحة .

في ردهة الخدج

دخلنا ردهة الخدج وهي غرفة صغيرة لا تتجاوز مساحتها ٤٠ متراً مربعاً توزعت فيها اكثر من ٢٤ حافظة للخدج بعضها احتوت اكثر من طفلين وامام كل واحدة هناك كرسي تجلس عليه المرافقة وهي في الغالب اما الام او الجدة.. تقضي المرافقات نهارهن في تبادل الاحاديث وفي الليل يفترشن ارضية الردهة، بحسب ما اخبرتنا به احداهن، صغر المكان ورائحة الأدوية والاجسام جعلته غير صالح اطلاقاً لان يكون ردهة للاطفال الخدج .

وفيات الاطفال الخدج مرتفعة في هذا المستشفى كما يقول الدكتور علي الدلوي ومعظم الحالات تاتي من المستشفيات القريبة لولادات غير مكتملة النمو او بسبب العمليات القيصرية وقسم منها نتيجة ولادات متعسرة ترهق فيها القابلة الام ووليدها.

ويضيف: الحافظة توفر درجة حرارة وتنفس مناسبين كما توفر حماية ومناعة من الامرا

ض للخدج. الى ان يصل لمرحلة يجتاز فيها الخطورة على صحته.

ويعلق د. الدلوي على ملاحظاتنا بخصوص المكان الضيق وعدم وجود موانع او عوازل بين الخدج ومرافقيهم . بالقول: بالطبع ان الظروف غير ملائمة صحيا هنا واحتمال تعرض الاطفال الى الاصابة بالتهابات قد تؤدي الى وفاتهم احتمال وارد الى درجة كبيرة ويستدرك الدلوي موضحاً: في المستشفيات العالمية يتم عزل الخدج بحاجز زجاجي ولا يسمح لأي احد بالاقتراب منهم باستثناء الملاك الطبي الذي يجب ان يخضع لعملية تعقيم شاملة قبل دخوله ردهة الاطفال الخدج التي تعد بمثابة ردهة عمليات.

ويشير الدلوي الى ان الجزء الاخر من المستشفى الذي يجري اعماره الان يحتوي على صالة واسعة للخدج، كما ان المستشفى جهز بحاضنات جديدة ومتطورة ونتوقع ان يكون الوضع افضل بعد انتهاء عمليات ترميم واعمار الجزء الثاني من المستشفى .

صراخ وانين

في غرفة الطوائ يقف طبيب شاب يستقبل الحالات الطارئة.. اطفال يصرخون من الالم، واخرون فقدوا القدرة على الصراخ لكننا كنا نشعر بانينهم وصعوبة تنفسهم سألت الطبيب عن حالات الاطفال المرضية فاجاب: بعض الحالات حرجة فنبقيهم حتى يتحسنوا ، اما اكثر الامراض التي يعاني منها الاطفال فهي الاسهال اوالالتهابات المعوية والتنفسية، ونعمل هنا على معالجتها ومنع حدوث مضاعفات قد تؤدي الى وفاة الطفل وعن سبب ارتفاع معدلات امراض الاطفال: قال الطبيب اتصور ان ذلك يعود لجملة من العوامل اهمها عدم اهتمام الام بتوفير الشروط الصحية لرعاية الطفل، اضافة الى تلوث الماء والهواء ولجوء الامهات الى الرضاعة الصناعية .

سألت الموظف المختص عن عدد المرضى الذين يراجعون المستشفى وقلبت معه سجل المراجعين فقال: يراجع المستشفى اكثر من ٥٠ مريضاً على وجبتين صباحية ومسائية ويرتفع العدد في بعض الايام الى اكثر من هذا الرقم واغلب المراجعين في بغداد يأتون من المناطق المجاورة او القريبة من المستشفى مثل الكرادة، بغداد الجديدة ، الزعفرانية، البلديات، العبيدي، والنهروان ومن المحافظات الوسطى والجنوبية .

حكاية الادوية

تجولت في الردهة التالية المكتظة بالاطفال المرضى ومرافقيهم لايكاد يفصل بين سرير واخر اكثر من نصف متر لان الردهة كانت صغيرة لا تسع هذا العدد من الاسرة التي بلغت ٢٤ سريراً.

سألت والد الطفل علي محسن ان كان الاطباء يتابعون حالة طفله المريض بالاسهال.. فاجاب نعم . لكن هناك مشكلة في الادوية التي يتم توزيعها بين يوم واخر ولذلك نضطر الى شرائها من الصيدليات الخاصة القريبة من المستشفى خصوصاً المغذيات والمضادات الحيوية .

كانت الممرضة تستمع لحديثنا، فسألتها لماذ توزعون الادوية بين يوم واخر ؟.. اجابت : انا ممرضة وواجبي متابعة حالة المرضى واعطائهم العلاج.. ولا علاقة لي بقضية الادوية.

خليل حسن الذي كان يجلس بجانب طفله المريض قال نشتري المغذيات من الصيدليات خارج المستشفى بحوالي الفين وخمسمائة دينار اما المضادات فاسعارها تختلف بحسب نوعها .

سألت الصيدلانية عن اسباب نقص الادوية في المستشفى فاجابت : لا يوجد أي نقص في الادوية الدكتور علي الدلوي برر اسباب النقص الحاصل في توزيع الادوية الى تأخر التجهيز قائلاً السبب يعود الى المذاخر المجهزة للادوية والتي مازال الروتين يطغى على عملها ولهذا كثيراً ما يتأخر وصول الادوية في الوقت المناسب.

اما الدكتور عامر الخزاعي وكيل وزارة الصحة فقال لنا : ان مذاخر وزارة الصحة تمتلئ بالادوية، وان النقص الحاصل في المستشفيات والمراكز الصحية يعود الى تفشي الفساد الاداري.. الذي تسعى الوزارة كما يقول الخزاعي الى مكافحته والحد منه، ونفى ان تكون مستشفيات الاطفال ومنها مستشفى العلوية تعاني من نقص في الأدوية او المغذيات ! فقلت له بامكانك ان تزورها وترى ان اوضاع المستشفى سيئة للغاية وهناك نقص واضح بالفعل في المغذيات والادوية.

ارتفاع وفيات الاطفال

بعدها اطلعنا على سجل الوفيات في مستشفى العلوية ولاحظنا ارتفاع معدلات وفيات الأطفال الى ٢٠ طفلاً في اليوم.

يقول الدكتور الدلوي: ان وفيات الاطفال مرتفعة ولم تنخفض نسبة الوفيات بعد عامين على سقوط النظام فالوضع لم يتحسن كثيراً.و اما اهم الاسباب التي تؤدي الى وفاتهم فهي امراض الجهاز التنفسي والإسهال والالتهابات المعوية. إضافة الى ارتفاع نسبة وفيات الاطفال الخدج بشكل كبير.

ويشير تقرير لوزارة الصحة ان عدد حالات الاسهال دون سن الخامسة من العمر ادت الى وفات ٧٣٢,٩٥٤ الف طفلاً في عام ,٢٠٠٤ وفي تقرير اخر لوزارة الصحة يفيد ان عدد الاطفال المصابين بالالتهابات للعام ٢٠٠٤ بلغ ١,٨٠٤,٣٧٤ وقد كانت نسبة الوفيات حوالي ١٤٪ منهم .

لكن تقارير لمنظمة الصحة العالمية بينت بان عدد حالات الاصابة بالتهابات الجهاز التنفسي من (٥-٨) حالات لكل طفل في السنة. وان العراق يصنف بانه أعلى نسبة في إصابات الأطفال بأمراض الإسهال والتهابات الجهاز التنفسي بعد موريتانيا والصومال.

احتياجات (صابر العراقي)

علي المالكي

الرأي الثالث

يحتاج (صابر العراقي) كسواه الى من يعلمه: كيف يحدد احتياجاته، طبقاً لأولوياتها، فاحتياجاته من الكثرة بحيث أربكته، وشوشت على عقله ولم يعد يرى بوضوح، او يفكر على نحو عقلاني ذلك ان لا معقول الوقائع الحياتية بلغ من الطغيان حداً ان صابراً في بعض الاحيان يشخص احتياجات غير معقولة، وعلى سبيل المثال امنيته في ان يجد موظفاً عراقياً يرفض هدية (ثمينة) وان يجد ركاب سيارة لا يثرثرون على نحو منافق، يريد بشراً مثاليين لا نجدهم الا في الخيال.

واذا كان احتياج (صابر) الاول قبل التاسع من نيسان ان يرى ولادة دولة عراقية عصرية على انقاض الدولة الشمولية التي كانت سائدة قبل ذاك، فانه بعد ذلك التاريخ لم يعد قادراً على تحديد ما يأتي في المقدمة من قائمة احتياجاته الطويلة.

ومن محاسن المصادفات ان (صابراً) استطاع ان يعثر على المعلم الذي يدربه على تحديد الاحتياجات، ويعلمه التخطيط لحياته وقد عثر على ذلك المعلم في احدى القنوات الفضائية المعنية بتربية التفكير لدى الانسان، وتعليمه الاسترخاء، والتأمل، ومراجعة النفس، والضبط الانفعالي والاستثمار الامثل للوقت، وبدأ يتابع تلك القناة (المعلم) وانخفض توتره النفسي، واخذ يشعر بالطمأنينة الى ان عقله يسيطر على حساسيته الانفعالية، ولكن زوجته، ذات التوجه الديني، غالباً ما كانت تتنازع معه على احقيتها في سماع ومشاهدة البرامج الدينية والاصغاء لنشرات الأخبار او حق الاطفال وحصتهم في مشاهدة افلام الكارتون، ومرة أخرى بات (صابر العراقي) بحاجة الى (المعلم الذي يدربه على كيفية تحديد مشاكله واحتياجاته طبقاً لاهميتها) وعاد مستوى التوتر النفسي الى الارتفاع واشتدت حساسيته الانفعالية، ولم يعد بمقدوره ان يهدأ من قلقه وازمته النفسية، وشعوره بالمرارة ذلك انه أخذ بالتحول من اقصى التفاؤل الى اقصى التشاؤم، فما ان يسود المدينة سلام مؤقت لاسبوع حتى يفجع قلب صابر العراقي بالموت الرهيب للعشرات من الابرياء مثله، ثم يفاجأ بعبوة ناسفة، او انقطاع انتقامي للكهرباء عند مضيفيه في مناطق الفقر والعوز في العاصمة بغداد.

وما ان استغرق صابر في النوم، ذات مساء ليريح حواسه وروحه من مكابدات الفقراء ومعاناتهم، حتى كلت روح صابر واعصابه، حتى انتظم عقله اللاواعي ليعمل كانه العقل الواعي، وظهرت على شاشة رؤياه قائمة فنطازية، طويلة جداً من المشاكل والاحتياجات التي تحتاج الى حلول عاجلة او إشباع معجل فإضافة الى قائمة حاجاته الجسدية، كانت اولى المشاكل في القائمة هي انقاذ الناس من الموت واحلال الامان الاجتماعي والضمان الاجتماعي لفقراء العراق وتأسيس دولة المؤسسات وسيادة القانون، ونية القائمين على ادارة الدولة الجديدة في وضع الحلول الناجعة لما يعانيه الناس من مشكلة الشحة في كل شيء، ما خلا الموت، (الامان، الكهرباء، الصدق، الماء، النزاهة، زيادة الدخل للعائلة العراقية، التوافق الاجتماعي وتعزيز روح التضامن بين مكونات المجتمع العراقي..) هذا على المستوى العام .. ثم ظهرت قائمة فرعية لحاجاته على المستوى الفردي، فوجد فيها انه بحاجة الى مسكن جديد، سيارة، اصدقاء، بشر لا ينافقون، حاسوب وانترنيت منزلي، وان يعمل استاذاً جامعياً، او معلماً للحكمة الانسانية، ولكنه قرأ بين قوسين (لم تعد الحاجة قائمة لامثال سقراط الان .. فراس الحكمة مخافة الله، وكفى..) ثم ان الحكمة صارت مشاعة في الكتب وعلى شاشات التلفزيون حتى ملّ البشر من الوعاظ والحكماء.

ومع الهناءة التي شعر بها صابر العراقي، وهو مستغرق في رؤياه، لكن حظه العاثر افقده هناءته حين انفجرت عبوة ناسفة على مقربة من المنزل، فاستيقظ وهرول باتجاه المكان ولم يجد سوى، امرأة مجنونة تقول وتكرر (الكل سيموت.. حتى ملك الموت سيموت) ودخل صابر العراقي نهاره التالي في (دوامة احتياجاته) وهو يشعر بغصة الم ممض في روحه ولكنه تذكر اختلاف الغد القادم، وفيما يشبه حلم اليقظة قرأ لافتة كتب فيها، يا صابر ان احتياجك الاخير، بل مجموع كل حاجاتك هو ان تسافر يا صابر انها حريتك..)، الا ان صابراً ومن فرط حبه وانتمائه للناس قال مع نفسه وكأنه يخاطب جمعاً من الناس (اصدقائي الطيبين وصيتي الاخيرة لكم ان تشيعوا الامل في نفوس الناس دعوا الشعب يحلم بغد زاهر خال من قائمة احتياجات –صابر العراقي- انا مسافر باتجاه حريتي)، لكن احد افراد المجموعة خاطبه قائلاً: يا صابر نحن بحاجة لمواطنتك وصدقك ونبلك)، ولكنه رد عليه بالم (لقد ضيعت خمسين عاماً من عمري لاشبع حاجاتي ولم افلح حتى الان في أشباعها، لست نبياً، وعذراً لكم احبتي، سأسافر، وأصير صابراً العالمي...).

لقد وجدت في (صابر العراقي) نموذجاً للمئات من العراقيين (الصابرين) الذين يدمرهم الاحباط من تدهور الامن والخدمات ومن المؤكد ان احتياجات هذا المواطن الطيب هي ذاتها مشاكل واحتياجات كل مواطني العراق، فهل يكون بمقدورنا ان نجد معلماً للصابرين، يساعدهم في معرفة احوالهم، وتحديد احتياجاتهم، وبعلمهم كيف يخططون لحياتهم ليحيوا بمحبة وسلام ؟؟ اعان الله (صابراً العراقي)، والصابرين على القائمة الطويلة من الاحتياجات..